

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ

سيد الاستغفار في شرع العزيز الغفار

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ سيد الاستغفار أن تقول قال رسول الله ﷺ : سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربِّي ، لا إله إلا أنت خلقْتني وأنا عبدك ، وأنا على عهْدك ووعْدك ما استطعت ، أعودُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صنَّعت ، أبوءُ لَكَ بِنْعِمْتَكَ عَلَيَّ ، وأبُوءُ بِذَنبِي فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يغْفِرُ الذُّنُوبُ إِلَّا أَنْتَ " ، قال : "من قالها من النهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أن يُمسِّي ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة" رواه البخاري.

ويجب أن نبحث عمن سماه سيد الاستغفار وذلك تحرزاً من الوقع في البدع ، فالشيطان أحقر ما يكون على إضلال الناس .

ومعنى سيد الاستغفار أي أنه يسود ويتقدم كل صيغ الاستغفار الأخرى في الفضيلة والرتبة ، وهذا مقرر من كلام من لا ينطق عن الهوى .
والمتأمل فيه يجد أن هذا الدعاء قد أشتمل على التوبة والتذلل والإذابة لله سبحانه وتعالى :

قوله) سيد الاستغفار (

قال الطيبـي : لما كان هذا الدعاء جاماً لمعاني التوبة كلها استعيـر له اسم السيد ، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ، ويرجع إليه في الأمور .
قوله) أن يقول (

أي العبد ، وثبت في رواية أـحمد والنسائي " إن سيد الاستغفار أن يقول العبد " وللتـرمذـي من رواية عثمان بن ربيـعة عن شداد " ألا أدلك على سيد الاستغفار " وفي حـديث جـابر عـنـ النـسـائـي " تـعلـمـوا سـيـدـ الاستـغـفارـ " .
قوله) لا إله إلا أنت خلقـتـني (

كذا في نسخة معتمدة بتكرير أنت ، وسقطت الثانية من معظم الروايات ، ووقع عند الطبراني من حـديث أبي أمـامة " من قال حين يـصـبـعـ : اللـهـمـ لـكـ الـحـمـدـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ أـنـتـ " والباقي نحو حـديث شـدادـ وـزادـ فـيهـ " آـمـنـتـ لـكـ مـخـلـصـاـ لـكـ دـيـنـيـ " .
قوله) وأـناـ عـبـدـكـ (

قال الطـيـبـيـ : يـجـوزـ أـنـ تـكـونـ مـؤـكـدـةـ ، وـيـجـوزـ أـنـ تـكـونـ مـقـدـرـةـ ، أـيـ أـنـ عـابـدـ لـكـ ، وـيـؤـيـدـهـ عـطـفـ قولـهـ) وأـناـ عـلـىـ عـهـدـكـ (" وأـناـ عـلـىـ عـهـدـكـ " .
قولـهـ) وأـناـ عـلـىـ عـهـدـكـ (

سقطت الواو في رواية النسائي ، قال الخطابي : يريد أنا على ما عهديك عليه وواعديك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك . ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدي إلي من أمرك ومتمسك به ومنتجز وعدك في المثوبة والأجر . واشترط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى . وقال ابن بطال : قوله ⊗ " وأنا على عهديك ووعدي " يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهادهم على أنفسهم ألسنت بريكم فأقرروا له بالريوبنة وأذعنوا له بالوحدانية . وبالوعد ما قال على لسان نبيه ⊗ : إن من مات لا يشرك بالله شيئاً وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة . "

قلت : قوله وأدى ما افترض عليه زيادة ليست بشرط في هذا المقام لأن جعل المراد بالعهد الميثاق المأْخوذ في عالم الذر وهو التوحيد خاصة ، فالوعد هو إدخال من مات على ذلك الجنة .

قال وفي قوله ⊗ " ما استطعت "

إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله . ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم ، فرق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم . وقال الطيبى : يحتمل أن يراد بالعهد والوعد ما في الآية المذكورة ، كذا قال : والتفريق بين العهد والوعد أوضح .

قوله ⊗) أبوء لك بنعمتك علي (

سقط لفظ لك من رواية النسائي ، وأبوء بالموحدة والهمز ممدود معناه أعترف . ووقع في رواية عثمان بن ربيعة عن شداد " وأعترف بذنبي " وأصله البواء ومعناه اللزوم ، ومنه بوأه الله متزلاً إذا أسكنه فكانه ألم به .

قوله ⊗) وأبوء لك بذنبي (

أي أعترف أيضاً ، وقيل معناه أحمله برغمي لا أستطيع صرفه عنِّي . وقال الطيبى : اعترف أولاً بأنه أنعم عليه ، ولم يقيده لأنَّه يشمل أنواع الإنعام ، ثم اعترف بالتقسيير وأنه لم يقم بأداء شكرها ، ثم بالغ فعده ذنباً مبالغة في التقسيير وهضم النفس . قلت : ويحتمل أن يكون قوله ⊗ " أبوء لك بذنبي " أعترف بوقوع الذنب مطلقاً ليصح الاستغفار منه ، لا أنه عد ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنباً .

قوله ⊗ : فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (

يؤخذ منه أن من اعترف بذنبه غفر له ، وقد وقع صريحاً في حديث الإفك الطويل وفيه " العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه . "

قوله ⊗ :) من قالها موقنا بها (

أي مخلصاً من قلبه مصدقاً بثوابها ، وقال الداودي يحتمل أن يكون هذا من قوله إن الحسنات يذهبن السينات ومثل قول النبي صلي الله عليه وسلم في الموضوع وغيره ; لأنه بشر بالثواب ثم بشر بأفضل منه فثبت الأول وما زيد عليه ، وليس ببشر

بالشيء ثم يبشر بأقل منه مع ارتفاع الأول ، ويحتمل أن يكون ذلك ناسخا وأن يكون هذا فيمن قالها ومات قبل أن يفعل ما يغفر له به ذنبه ، أو يكون ما فعله من الوضوء وغيره لم ينتقل منه بوجه ما ، والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء . كذا حكاه ابن التين عنه ، وبعضه يحتاج إلى تأمل .

قوله ⊗ :) ومن قالها من النهار (

في رواية النسائي " فإن قالها حين يصبح " وفي رواية عثمان بن ربيعة " لا يقولها أحدكم حين يمسي فیأتی عليه قدر قبل أن يصبح ، أو حين يصبح فیأتی عليه قدر قبل أن يمسي . "

قوله ⊗ :) فهو من أهل الجنة (

في رواية النسائي " دخل الجنة " وفي رواية عثمان بن ربيعة " إلا وجبت له الجنة " قال ابن أبي جمرة : جمع ⊗ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار ، فيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه ، والرجاء بما وعده به ، والاستعاذه من شر ما جنى العبد على نفسه ، وإضافة النعماء إلى موجدها ، وإضافة الذنب إلى نفسه ، ورغبته في المغفرة ، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو ، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة ، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى . وهذا القدر الذي يمكن عنه بالحقيقة . فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين : إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل ، انتهى ملخصا . أيضا : من شروط الاستغفار صحة النية ، والتوجه والأدب ، فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ الوارد واستغفر آخر بهذا اللفظ الوارد لكن أخل بالشروط هل يستويان ؟ فالجواب أن الذي يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة والله أعلم .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : في قوله عليه السلام : " سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ". قد اشتمل هذا الحديث من المعرف الجليلة ما استحق لأجلها أن يكون سيد الاستغفار ، فإنه صدره باعتراف العبد بربوبيه الله ، ثم ثناها بتوحيد الإلهية بقوله : ((لا إله إلا أنت)) . ثم ذكر اعترافه بأن الله هو الذي خلقه وأوجده ولم يكن شيئا ، فهو حقيق بأن يتولى تمام الإحسان إليه بمغفرة ذنبه ، كما ابتدأ الإحسان إليه بخلقه .

ثم قال : " وأنا عبدك " اعترف له بالعبودية .

فإن الله تعالى خلق ابن آدم لنفسه ولعبادته ، كما جاء في بعض الآثار :) يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ابْنَ آدَمَ ! خَلَقْتَكَ لِنَفْسِي ، وَخَلَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ لِلأَجْلِكِ ، فَبِحَقِّي عَلَيْكَ لَا

تَشْتَغِلَ بِمَا خَلَقْتَهُ لَكَ عَمَّا خَلَقْتَ لَعِبَادَتِيْ . فَلَلَا تَلْعَبُ ، وَتَكْفُلْتَ لَكَ بِرْزُقَكَ فَلَلَا تَتَعَبُ . ابْنَ آدَمَ ! اطْلُبْنِي تَجْدِنِي ، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِنْ فَتَّكَ فَاتَّكَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَنَا أَحِبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .) . فَالْعَبْدُ إِذَا خَرَجَ عَمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ طَاعَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمَحْبَبِهِ وَالإِنْابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوْكِلِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ أَبْقَى مِنْ سَيِّدِهِ ، فَإِذَا تَابَ إِلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَدْ رَاجَعَ مَا يَحْبِبُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيُفْرِحُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْمَرَاجِعَةِ . وَلَهُذَا قَالَ ☒ يَخْبِرُ عَنِ اللَّهِ : (لَهُ أَشَدُ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ وَاجْدِ رَاحْلَتِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ بَعْدَ يَاسَةِ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ الْمُهَلَّكَةِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ هُوَ الذَّيْ وَقَفَّهُ لَهَا ، وَهُوَ الذَّيْ رَدَهَا إِلَيْهِ) . وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَحْقِيقَةُ بَمْنِ هَذَا شَأنَهُ أَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ ☒ : " وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا أَسْتَطَعْتُ " فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَهْدُهُ إِلَى عَبَادِهِ عَهْدًا أَمْرَهُمْ فِيهِ وَنَهَاهُمْ ، وَوَعْدَهُمْ عَلَى وَفَائِهِمْ بِعَهْدِهِ أَنْ يُشَيِّبُهُمْ بِأَعْلَى الْمُثْوِياتِ ، فَالْعَبْدُ يُسِيرُ بَيْنَ قِيَامِهِ بِعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَصْدِيقِهِ بِوَعْدِهِ . أَيْ أَنَا مُقِيمٌ عَلَى

☒ عَهْدِكَ مُصْدِقٌ بِوَعْدِكَ . وَهَذَا الْمَعْنَى قَدْ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَقُولَهُ : (مِنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتَسَابًا غَفْرَانًا لِمَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) . وَالْفَعْلُ إِيمَانًا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي عَاهَدَ إِلَى عَبَادِهِ ، وَالْاحْتَسَابُ هُوَ رَجَاؤُهُ ثَوَابُ اللَّهِ لَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَهَذَا لَا يُلِيقُ إِلَّا مَعَ التَّصْدِيقِ بِوَعْدِهِ . وَقُولَهُ (إِيمَانًا وَاحْتَسَابًا) مُنْصُوبٌ عَلَى الْمُفْعُولِ لَهُ ، إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إِيمَانَهُ بِأَنَّ اللَّهَ شَرَعَ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ وَرَضَيَهُ وَأَمْرَ بِهِ ، وَاحْتَسَابَهُ ثَوَابَهُ عَنْدَ اللَّهِ ، أَيْ يَفْعُلُهُ خَالِصًا يَرْجُو ثَوَابَهُ .

وَقُولَهُ : " مَا أَسْتَطَعْتُ " أَيْ إِنَّمَا أَقُومُ بِذَلِكَ بِحَسْبِ اسْتِطَاعَتِي ، لَا بِحَسْبِ مَا يَنْبَغِي لَكَ وَتَسْتَحْقَهُ عَلَيْيَ . وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ قُوَّةِ الْعَبْدِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ، وَأَنَّهُ غَيْرَ مُجْبُورٍ عَلَى ذَلِكَ ، بَلْ لَهُ اسْتِطَاعَةٌ هِيَ مِنَاطُ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ وَالثَّوَابِ وَالْعَقَابِ . فَفِيهِ ردٌّ عَلَى الْقَدْرِيَّةِ الْمُجْبِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : إِنَّ الْعَبْدَ لَا قَدْرَةَ لَهُ وَلَا اسْتِطَاعَةَ ، وَلَا فَعْلَ لَهُ الْبَتَّةَ ، وَإِنَّمَا يَعَاقِبُهُ اللَّهُ عَلَى فَعْلِهِ هُوَ ، لَا عَلَى فَعْلِ الْعَبْدِ . وَفِيهِ ردٌّ عَلَى طَوَافِ الْمَجْوِسِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ ☒ : " أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ " فَاسْتَعَاذَتِهِ بِاللَّهِ الْإِلَهَجَاءُ إِلَيْهِ وَالْتَّحْصِنُ بِهِ وَالْهَرُوبُ إِلَيْهِ مِنِ الْمُسْتَعَذِّ مِنْهُ ، كَمَا يَتَحْصِنُ الْهَارِبُ مِنِ الْعُدُوِّ بِالْحَصْنِ الَّذِي يَنْجِيَهُ مِنْهُ . وَفِيهِ إِثْبَاتٌ لِفَعْلِ الْعَبْدِ وَكَسْبِهِ ، وَأَنَّ الشَّرِّ مُضَافٌ إِلَى فَعْلِهِ هُوَ ، لَا إِلَى رِبِّهِ ، فَقَالَ ☒ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ) . فَالشَّرِّ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْعَبْدِ ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى ، وَكُلُّ أَوْصَافِهِ صَفَاتٌ كَمَالٌ ، وَكُلُّ أَفْعَالِهِ حِكْمَةٌ وَمُصْلَحَةٌ . وَيُؤَيِّدُ هَذَا قُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي دُعَاءِ الْإِسْفَافَةِ .

ثُمَّ قَالَ : " أَبْوَءُ لَكَ بِنَعْمَتِكَ عَلَيِّ " أَيْ أَعْتَرِفُ بِأَمْرِكَذَا ، أَيْ أَقْرَبُهُ ، أَيْ فَأَنَا مُعْتَرِفٌ لَكَ بِنَعْمَكَ عَلَيِّ ، وَإِنِّي أَنَا الْمَذَنِبُ ، فَمِنْكَ الْإِحْسَانُ وَمِنِّي الْإِسَاعَةُ . فَأَنَا

أحمدك على نعمتك ، وأنت أهل لأن تحمد وأستغفرك لذنبي. ولذا قال بعض العارفين : ينبغي للعبد أن تكون أنفاسه كلها نفسين : نفسا يحمد فيه ربه ، ونفسا يستغفره من ذنبه. ومن هذا حكاية الحسن مع الشاب الذي كان يجلس في المسجد وحده ولا يجلس إليه ، فمر به يوما فقال : ما بالك لا تجالسنا ؟ فقال : إني أصبح بين نعمة من الله تستوجب علي حمدا ، وبين ذنب مني يستوجب استغفارا ، فأنا مشغول بحمده واستغفاره عن مجالستك. فقال : أنت أفقه عندي من الحسن. ومتى شهد العبد هذين الأمرين استقامت له العبودية ، وترقى في درجات المعرفة والإيمان ، وتصاغرت إليه نفسه ، وتواضع لربه ، وهذا هو كمال العبودية ، وبه يبرأ من العجب والكبر وزينة العمل.

والله الموفق الهادي ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 22/10/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com